النشاط الثقافي في الوطن العربي

الكمية والافراط فيها ، قدر ما تتطلب النوعية الطيبة ، المتفتحة لواقعها ورسالتها . والحق ان الفن يمرض ويتعفن ان قدر له ان يتضخم كمية على حساب كيفية هزيلة فقيرة في دمها الفني والانساني . ونحن لا ندعي في هذا الاجتهاد والاستنباط ، فهذا من ابده بديهيات الفن . وعلى أي حال فان المشاكل الاجتماعية احتلت لدى الجادر ورحمي وجماعة بغداد حوالي الثلثين من عدد اللوحات التي عرضوها في قاعة الصور في معهد الفنون الجميلة ببغداد . وفي هذا ما فيه من الالتفاتة القيمة للتفتح الواقعي الانساني لما نعاني من وجود مهدد ، وانسانية تكاد تضيع ، وظلام لا زال يتنفس وجوده .

فلوحات الجادر (حول الرحى ، انتظار الطبيب ، مزازين العابدين ، بيت السركال ، ام ناصر ، عجيمي ، في الجنوب ، ملهى شرقي ؛: الموصل، غريب في القرية ، كاولية ، الماز ، جامع المراوية ، من الهويدر ، التلقيح ضد الجدري ، ابن الشيخ ، مقامرون ، في الملهى ، حصبه ، قروية في الدورة) تكاد تقدم الوجه الابيض لفننا العراقي الحديث ـ وقد وفق بعضها في ذلك توفيقا طيبا ـ ، لولا بعض النقائص في التقنية الفنية من سوء في التوزيع اللوني ، واضطراب في النسيج اللوني ذاته ، وفقر في التعاون الوظيفي بين الشكل والمضمون المتطلب بعض الالوان المتميزة ، والتي أغفلها او جانبها ، احيانا ، فناننا الجادر . وبالرغم من ان بعض اللوحات كانت اجترارا لما سبق ان عرضه الجادر في معرضه العام الفائت ـ معرض بغداد للرسم والنحت ـ كما في «ابن الشيخ»، «الموصل» « المقامرون » ، « غجرية » ، « القرية » ، الا ان اعادة عرضها في معرضه العملاق ، كمية ، لم يخل بكامل عمل الفنان الجادر ولم يفقده بعض محسناته وبذوره السخية بالخلق والابداع ..

ومع ان الفنان التركي رحمي اندفع في زحمة التقليد فصور البيئة العراقية التي يجهلها او لا يتفهمها تفهم ابنائها على الاقل ، فان بعض محاولاته جادت بمعطيات انسانية النزعة تكاد تكون مثلا يدرس ويحتذى، لولا التأثر الغالب بالمدرسية الكلاسيكية والاحتضان اللاشرعي للفوتوغرافية الخرساء . وعلى اية حال فان لوحاته « قروي تركي » و « الجندي الجريح » و « سوق الحميدية بدمشق » و « قبائل الاتراك الرحل » و « ننه خاتون » ، كانت في القمة من حيث الابداع الاصيل ، قياسا الى لوحاته الباقية ،لولا اساءة اختيار الالوان المطلوبة واهمال للشكل ذاته ، وفقر في الغنائية الفنية ، كما تجلى ذلك في بعض ما ذكرنا من هذه اللوحات . على ان لوحتيه « الجندي الجريح » و « ننه خاتون » كانتا موفقتين تماما في النزعة الانسانية والرمز الطيب والواقعية الحية الخلاقة .

اما « جماعة بغداد للفن الحديث » فمع انها حاولت الاستفادة من عنصري الفن الفردي : (الغنائية والرمزية) ، فانها لم تستطع التوفيق ككل ، في تصوير وعرض المشاكل الاجتماعية مع ايحاءاتها البناءة ، ولكنها وفقت افرادا معدودين . ففرج عبو الذي يأتي في القمة في الميدان الاجتماعي نجده ، بالرغم من انه حوم كثيرا حول الحقيقة الظاهرة واهمل الفانتازيا والغنائية الذاتية ، وفق في معظم لوحاته التي نذكر منها على سبيل المثال فحسب : السوق ، القرية ، البناؤون . اما لوحته « قهواتي القرية » والتي رسمها في روما فلم تكن موفقة توفيق اخواتها السالفات الذكر ، ولو انه اسماها ـ القهواتي الجوال ـ لكانت اصدق تعبيرا واخلص تجاوبا ، مع الواقع الحق . وبعد فرج عبو يأتي جواد سليم عملاق النحت العراقي واستاذ النحت في معهد الفنون الجميلة . ومع ان منحوتاته لم تأت بحصاد طيب لهذا العام فان مستقبله وقدمه في النحت اثبت منها في الرسم والتصوير . على ان تطوره في الرسم لم يحقق قفزات جريئة ، كما تعودنا ان نرى له في ما سلف من الاعوام . والحق انه لو كرس نفسه للنحت والصياغة لقدم في مجال اختصاصه هذا الكثير من الابداع الاصيل لانساننا العربي . ولكن مرسوماته لهذا العام حفلت كالعادة ، بالرمزية المستحبة المتعانقة مع الغنائية التي يعيشها جواد في منحوتاته باخلاص اكثر. وهكذا فلوحاته: ليلة الحناء ، بغداديات (في الملهى) ، بغداديات (بائع الطيور الجبسية) ، بغداديات (عباس وامه) كانت موفقة في ما قدمت من مضامين اجتماعية بالاطار الفني الرفيع الذي لمسناه من جواد اكثر من مرة ، والذي تجسم في الطراوة والتناغم اللوني والحذق في التوزيع والبناء والتركيب والتفريش والتسوية والهندسة اللونية . ومع ان لوحته « اغنية عربية » كانت متحذلقة الرمز ، فاشلة المضمون ، وكذلك يمكن ان نقول عن « فتاة ودلة (١) و(٢) » الا ان تفتحه للميثولوجيا العربية والعراقية والفولكلور والخرافة العراقية ، يضفي على سائر مرسوماته محبة لا نستطيع ان نقاوم اشعاعها وعطاءها .

على ان « جماعة بغداد » ضمت الى جانب فرج وجواد ، فنانين آخرين عراقيين واجانب ، قدموا بعض العطاء المنتظر من الانسان الفنان الذي يحاول تفهم واقعه ولوحته الكبرى والصغرى . فالفنان ايان اولد كان موفقا بعض الشيء في لوحته « عائلة » شكلا ومضمونا . الا ان لوحاته (فتاتان) و (جسمان) و(مدينة الليل) و(سوق في الكاظميين) لم تكن مع الاسف ، متساوية مع الرمز الذي قدمته لوحة « عائلة » ، وفي هذا ما يثبت ان الفنان ذاته يتراوح بين الحضيض والقمة في لوحاته ذاتها . اما بوغوص فقد حشر نفسه في تهاويل ورموز تجريدية حاول ان يعبر بها عن مشاكل ومواضيع ، هي لديه ـ كما يظهر ـ مهمة ، ولكنه فشل تماما في حذلقته لولا لوحته « معركة الديكة » . ومع تفهمنا للرمز الذي قدمته لوحاته « القمر الفضي » ، و « معركة الحشرات » و « المراسل » ، الا اننا لم نلمس فيها دفء التجربة ولا تعقل الفنان ، بل اننا لمسنا التقليد الاجوف فحسب للمدارس الشكلية المتأخرة في الفن الغربي . والشيء نفسه يمكن قوله على لوحته « انشاء رقم (١) ». وهنا نجد ظل الجادر واضحا كما نجد الفنان التركي رحمي يتفوق على اعمال ايان وبوغوص .

ومع ان جبرا قد وفق في لوحته « ام وطفلها » الا انه فشل في لوحتيه « السوار الابيض » و « صورة فتاة » . والظاهر انه لم يستطع التخلص تماما من الحذلقة والتعمل والتكلف الفني الذي وصفه به الناقد الفنان احمد مرسي في العام الفائت . اما علي الشعلان فقد كانت لوحاته « الزيارة » ، « الربعة » ، « عائلة » موفقة تماما ، توفيق فرج عبو في لوحته « البناؤون » . ومع حداثة ابداع هذا الفنان الا انه يتطور بقفزات جريئة وتجاسر كبير يبعث على الاحترام والامل بمستقبله الرحب لو استمر على تشويهاته ، وتخلص من بعض الحذلقة التي تأثر بها ثقافة واخيلة ،

النشاط الثقافي في الوطن العربي

العراق

ربيع الفن في بغداد

تطور الحركة الفنية في بغداد قدما ، وبكم وكيف لا يمكن ان يثيرا الرضى والتفاؤل ولو الى حد . فلقد حفل هذا الربيع لعام ١٩٥٧ باربعة معارض حتى الآن ، وهناك معرض خامس تجري تحضيراته باسم « جمعية الفنانين العراقيين » . اما المعارض الاربعة التي نتحدث عنها هنا ، فهي « معرض بغداد للرسم والنحت » و « معرض الدكتور خالد الجادر » و « معرض الفنان التركي رحمي بهلواني » ثم معرض جماعة بغداد للفن الحديث » .

وما دام الفنان الاخ عطا صبري قد كفاني مؤونة نقد المعرض الاول ـ معرض بغداد للرسم والنحت ـ بنقده في عدد « الآداب » المنصرم ، فاني وجد نفسي مضطرا ان اقدم دراستي النقدية المقارنة لمعرضين فرديين هما معرض الجادر ـ الفنان العراقي ـ ومعرض رحمي بهلواني ـ الفنان التركي ـ وللمعرض الجماعي ـ لجماعة بغداد للفن الحديث .

ليس من الصعب ان ينقد المعرض الجماعي سيما ان التزم فنانو ذاك المعرض بعض المعايير والالتزامات الفنية والفكرية . ولكن الصعب حقا هو ان ينقد معرض فردي لفنان حاول ان يسهم في مختلف الحقول وان يستغل مختلف الاساليب والمدارس كما رأينا لدى الفنان الجادر . فهنا يتوجب ان يحيط الناقد نفسه بدرع من الحذر المتناهي واليقظة الفنية المرهفة ، اضافة الى العقل الواعي الملتزم الانسان فردا ومجتمعا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

يقول روبرت موترويل (راجع عدد «الآداب» الاول ١٩٥٦) : « ان الفن » الفنان ليس الا وعيه الذي تكون بألم وعلى مهل ، عبر الاخطاء العديدة التي ارتكبها في اثناء الطريق . وليس الوعي شيئا يمكن ان يعطى الى جمهور الرسام ، بل ينبغي ان يكتسب بالتجربة ، كما اكتسبه الفنان نفسه . ان الرسام الذي لا يملك وعيا اخلاقيا ، ليس الا مزخرفا . » ويقول لويس هاراب (في كتابه « الجذور الاجتماعية للفن » تلخيص الثقافة الجديدة ») : « فالفن في جوهره وسيلة للاتصال بين البشر ، وسيلة لتنمية الحياة والادراك . انه اجتماعي في اصله وتأثيراته . وان هدفه النهائي هو التعبير عن القيم الانسانية » .

وبين هذين القولين لموترويل وهاراب تتحدد رسالة فننا العربي الحديث . ثمة من يقول : اتركوا الفن حرا ودعوا الفنانين احرارا في الاخذ والعطاء ، كما لا يخلو الجو من هندسة دقيقة دعامتها « يجب » وتواجهها « ينبغي » .على ان فننا الوليد يستشرف ، اول ما يستشرف ، واقعه الخلاق بوعي هادف ، وآنذاك فقط يستطيع ان يهضم هذه الحرية التي يذوب فيها بعض الفنانين الضائعين ، كما يستطيع ان يفيد من بعض العطاء غير المكرور الذي تقدمه « يجب » .

وهنا نجد الفنان المرحوم مصطفى فروخ يعالج الموضوع باسم الفنان العربي فيقول ـ راجع عدد الآداب الاول ١٩٥٦ ـ : « اما رسالة الفن في بقية البلاد العربية ، فليست اسعد حالا ، فأكثره يعيش على الاقتباس وتقليد الحركات الفنية التي تنشأ في اوروبا ، ولا يحاول ان يبتكر او يستوحي من حاضر البلاد العربية وتطلباتها وواقعها ، في حين ان رسالة الفن هي كما نعلم ، التعبير الصادق عن احاسيس الامة وواقعها » .

واعتقد ان حال فننا العربي الحديث ، والعراقي من ضمنه ، هو ، مع بعض التحفظ الضروري واللازم ، كما وصف استاذنا الفنان المرحوم فروخ واجاد . الحق ان ثمة محاولات مخلصة قد توفق وقد لا توفق في خلق الشخصية المحلية في الفن العراقي الحديث ، ولكن هذا لا يعني بحال من الاحوال ، ان هذه المحاولات ذاتها لم تسلم من المحاكاة والمسخ الفني . وعلى أي حال فان بذور التطور الهادف والخلاق قد وجدت ولربما ستينع قريبا وتؤتي ثمارها طيبة تفاجيء الكثير من القانطين والمتشائمين والسلبيين وعابدي الكمال المطلق . وقديما قيل « من سار على الدرب وصل . »

كتب الفنان الاخ احمد مرسي ناقدا بعض معارض العام الفائت في بغداد فقال : « الفن الحديث هو بعث الروح الخلاقة في الانسان وهو البحث المضني وراء معادن روحية شريفة لم تكتشف بعد ، بل هو كشف السماء ومحاولة بذر النجوم على تربة كوكبنا الارضي . هذا هو الفن الحديث الذي يعاصر اليوم احلام العلماء البعيدة ، ومحاولات الشعوب في الانطلاق . وقد نبغ على ايدي فنانين انسانيين شرفاء ما زالوا يحترقون ليوزعوا النور في كل البقاع .. » وفي هذا القول ما يكمل الذي اقتبسناه من هاراب وموترويل . بل ان فيه ما يوحي ان فناننا الناقد قد استطاع ان يهضم ، ولو لحد ، مفهوم الفن الحديث الخلاق ويلتزم رسالته .

والى هنا ونحن نقتبس ونتحدث في رسالة الفن الحديث والمثل التي يحاول ان يلتزمها فنانونا المعاصرون . والان تيسر لنا بعد هذه المقدمة اللازمة ، ان نحلل الاعمال التي جاد بها فنانونا لنرى هل التزموا موضوعا ما ، وهل وفقوا في ذلك ؟ ولنرى ، ايضا ، كم منهم من عرض الكيفية الطيبة لفننا وعالج المشكلة الراهنة ؟ وما حصة انساننا في كل ذلك ؟

قبل كل شيء يتوجب ان نعترف ان كل فنانينا الذين ننقد ، حاولوا معالجة المشاكل الاجتماعية والانسانية ، وتصوير الاجواء المحلية مع تأثر ، يقل ويكثر باختلاف بيئة الفنان وثقافته ومقومات تربيته الفنية ورسالته التي يلتزم ، بالفن العالمي واساطينه . فالحق انهم كلهم حاولوا مع قليل او كثير من الاخلاص والتوفيق ، تصوير الواقع الرمز ، والواقع الاسطورة ، والواقع التاريخ ، والواقع الحياة . كما انهم كلهم حاولوا ان يتصادوا مع المجتمع العراقي في الفولكلور والميثيلوجيا والواقع الحي المتجدد . ولم يسلم من ذلك حتى الفنان التركي رحمي بهلواني والذي جاء ضيفا . وهكذا فان الالتزام الفني وجد بذرته المخصاب في تربة الفن العراقي السمحة ولو بعد كثير من الضياع والعذاب .

يعرض الدكتور خالد الجادر اربعا وتسعين لوحة في معرضه الفردي الخاص به ، بينما يعرض الفنان التركي حوالي الخمسين لوحة ، اما المعرض الجماعي ـ لجماعة بغداد للفن الحديث ـ فيعرض سبعا وستين لوحة فحسب عدا المنحوتات والفخاريات والمصوغات . وان كنا بسبيل بحث الكمية ، فاننا نجد الجادر في القمة . ولكن عافية الفن لا تتطلب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

... الدفع في عفويته وبساطته الحبيبة . والشيء نفسه يقال عن الفنان ... عنوان الذي عرض لوحة واحدة هي « الشارع » .

اما فاضل عباس في لوحاته : « زهرة الحفافة » و « شركاوية » و « الزينة » فقد بدا مقلدا للاستاذ جواد سليم في المضمون وان حاول ان يعترف شيئا من التكعيبية والتعبيرية . ومع ذلك فيمكن ان يسجل له تطور واع في فنه ما دام قد تخلص من بعض مقومات حذلقته واستقراطيته التي عرضها في لوحاته في العام الفائت . وبالرغم من انه اعاد كما اعاد الكثير من الفنانين ، عرض لوحات سابقة ، الا ان الدراما في لوحاته تمتزج بنسيج لوني طيب ، وتبعث على شيء من الامل بتقدمه.

اما شاكر حسن وطارق مظلوم وعبد الرحمن الكيلاني فلم نستطع ان نلحظ لهم تطورا يذكر ، فلوحات : « نساء في الانتظار » لشاكر حسن تقف امام لوحتيه للعام الفائت ، وهما « بدوية » و « الديك والقمر » ويبدو ان لوحاته تتسربل بالمسحة الشاعرية الصوفية الا ان تشويهاته ليست اصيلة ، وهنا ، فان لوحته « نساء في الانتظار » لا تصمد امام لوحة الفنان الواقعي محمود صبري بنفس العنوان ، ولعل ذلك يرجع لافتقار لوحة شاكر الى التناغم اللوني والفقر في التركيب . و « عائلة راحلة » لطارق مظلوم تتسم بالواقعية مع بعض الشاعرية والعفوية الحلوة ، الا انها فقيرة في الشكل فقرها في الانسجام اللوني . وكذلك القول عن تخطيطات عبد الرحمن الكيلاني التي جاءت كريمة في الشكل ، فقيرة في المضمون ، مترددة في العطاء .

اما آل سليم وهم لورنا ونزار ونزيهة ، فقد كانوا ، لسوء الحظ ، مقصرين جدا بجواد سليم ، الفنان المعروف . ومع ان هذا القول لا يحتاج لكثير من الادلة بعد ان تلقي نظرة فاحصة مدققة على مجموع لوحات من ذكرنا من آل سليم ، فالانصاف يقتضينا ان نقول ان تأثرهم بالجو الحي ، ومعالجتهم للمشاكل الاجتماعية – بشكل من الاشكال ، قد حققا من التأثر الفوتوغرافي بأعمال جواد . وعلى اية حال ففي مقدمة آل سليم نجد نزارا الذي قدم تسع لوحات عالجت مواضيع اجتماعية، وكانت طيبة العطاء على وجه العموم .« فعازف الربابة » و « اعرابيات» و « شاربات الشاي » و « قارئة الحظ » ، كانت لوحات تكاتف فيها الشكل مع المضمون بحرارة ، فأنتج سخاء في الانفعال وحرارة في العاطفة والشاعرية ، اما « حاملات الجرار » له فلم تتخلص من التقليد لفنان آخر هو فرج عبو الذي عرض لوحة بنفس الاسم في معرض جماعة بغداد للعام الفائت . وتأتي لوحات « عائلة » و « بائع الشلغم » و « همسات الليل » للورنا ، ولوحات « بائع الفواكه » و « مولود » لنزيهة ، تأتي في القمة من حيث التصادي المبدع مع الانسان الفرد والمجتمع ، وهي لا تخلو من التشويه الفني ، وان بالغت في الاشكال المخروطية بشكل مؤلم . وهنا نسجل تطورا لنزيهة ولورنا ونزار عما قدموا في العام الفائت .

اما النحت لدى « جماعة بغداد » فقد كان فقيرا متخلفا ولعله ، هنا ، يعكس تخلفه في العالم الفني بأسره . ومع ذلك فقد اتى خالد الرحال بأعمال تفوق اعمال النحات جواد نفسه . وهنا نذكر اعماله : الراحة (خشب) ، راقصة (ابنوس) ، في الحمام (برونز) . وهذه الاعمال طيبة على وجه العموم بالرغم من التأثر الواضح برودان ، وكان يمكنه ان يتفوق اكثر على ذاته لو درس بامعان اعمال انجلو الذي تسامى بالشكل الواقعي واستغل التشويه الفني كأداة لخلق منحوتات حية . اما ميران السعدي فلم يكن موفقا ، الا في « ملاذ » – جبس – ، فقد كانت تفوح بغنائيةحبيبة . اما خليل الوردي فقد كانت منحوتاته الثلاث طيبة عموما ولا سيما (الهزيع الاخير) – خشب ونحاس – و (البائسة) – خشب – والدارس الدقق لهذه المنحوتات يؤمن ان ثمة مستقبلا طيبا ينتظر الفنان الوردي ، بعد ان يلحظ التطور البني لنحته عن منحوتاته (القصاب ، فتاة مذعورة ، أم عبد) التي عرضها في « معرض بغداد للرسم والنحت » في العام المنصرم . واخيرا يواجهنا الكيلاني بـ (رأس السيدة بل) الذي كان معبرا جدا لولا الاغراب في التقطيع والتشويه . اما « تريزا » – برونز – فقد كانت طيبة ، نسبيا ، ان قيست بأعمال ميران . وهنا نلاحظ الفروق بين نحاتي ورسامي « جماعة بغداد » طفيفة حتى ليخيل ان المعرض فردي ..

وما قيل عن تخلف النقد يمكن ان يقال ، مع بعض الحذر ، عن تخلف الفخار الذي اختص به ايان اولد لوحده ، فكانت صحونه و سنادينه اجترارا غثا لا طائل وراءه رغم ما فيها من دقة في الصنع طغت علىالتقنية الفنية المطلوبة . والشيء نفسه يقال عن الصياغة التي خاض غمارها الفنانان جواد سليم وخالد الرحال ، فكانت اقراط جواد الفضية والنحاسية مع علبة السكاير التي صاغها الصائغ غالب ناهي ورسم بعض النقوش عليها الاستاذ جواد ، اقول كانت عملا يثير القنوط ، ان قورن بمرسومات ومنحوتات جواد الطيبة . والمشكلة هي ان فنانينا يوزعون جهودهم في مختلف الحقول فلا تأتي اعمالهم الا سطحية في الاغلب ، قيمة في الاندر . على ان مصوغات الرحال كانت تشع بومضات فنية مشرقة تمازجت فيها دقة الصفة بغنائية الفن ورمزيته . وهذا ما نقوله عن « مهافيف » – فضة وذهب – و « جوبيه – دبكه – عربية – فضة – و « وجه فتاة » – نحاس . وعلى العموم فقد كان النحت والصياغة لدى جماعة بغداد متخلفين امام القفزات اللامتحفظة في عالم الواقع والمحسوس والمعقول في اجواء المرسومات التي ذكرنا .

.....

ترى هل اوفينا حق الدراسة النقدية المقارنة بما قدمنا ، حتى الان ، من فحص نقدي ؟!

لا حاجة للقول ان المعرضين الفرديين للجادر ورحمي من جهة ،والمعرض الجماعي « لجماعة بغداد » ، كانت جميعا ، مصدر استشراق واقعيرحب لفننا الوليد . ولكنها من جهة اخرى ، كانت محدودة الطابع والسمة . فالتجاسر لم يتوزع ، بانصاف ، على عموم الفنانين . والعفوية ماتت لدى بعض الفنانين بينما اورقت وازهرت لدى الآخرين . والغنائية والرمزية والنزعة الانسانية ذاتها كانت تتردد وتتراوح قوة وضعفا ليس بين عموم من عرضنا من الفنانين ، بل بين لوحاتهم ومنحوتاتهم ذاتها . فما السر في ذلك ؟ وما العلاج – ان كان ثمة علاجات ؟!

السر ان الثقافة الفنية والفكرية للفنان العراقي تتفاوت علمية وموضوعية ، جذرية وتعقلا ، انسانية ومعطيات . والسر ، ايضا ، هو ان فناننا الانسان لم يخلق بعد ، وان كل ما وجد حتى الان هو بذور وبذور فحسب . والسر ،أخيرا، ، هو ان فناننا ، رساما ، ونحاتا ، وصائغا ،

كان ، لحد كبير ، ولا زال ، في رواسبه الكثر ، بمعزل عن الثقافة الجذرية والالتزام الواعي الهادف . ربما وجد بعض الفنانين امثال محمود صبري وفرج عبو وجواد سليم وعلي الشعلان ونزار سليم وخالد الجادر والشيخلي ، ممن استطاعوا عرض أعمال طيبة المضمون والشكل ولكن هل خلق هؤلاء وغيرهم الشخصية المحلية للفن ؟ هل فرضوا او صنعوا او خلقوا الطابع القومي لفننا العراقي والعربي .

ان لوحة « الجندي الجريح » للفنان التركي رحمي تتفوق في نزعتها الانسانية على مجموع اللوحات التي استعرضنا للفنان الجادر وفناني « جماعة بغداد » . والعجيب ان فرج عبو هو فنان موهوب يظل يتأمل ويهضم الحقائق الظاهرة بينما لا يفيد مما يقدمه علم النفس واللاشعور في الفن . والحق ان الفن مصب خلاق تصب فيه مختلف حقول الثقافة وروافد المعرفة الانسانية . والفن الحديث اليوم لا يستطيع ، البتة ، ان يتخلص من معطيات علم النفس والتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع .

صحيح ان الفنان الجادر قد ساح بمرسوماته عبر تركيا والاطلسي ، والريفييرا ولكنه لم يستطع ، للاسف، ان يقدم لنا الا مسوخا فالمرسومات عما رأى وتجاوب معه . وكان يمكنه ان يعيش بيئته المحلية فيبدع كما استطاع فعلا في « الموصل » مثلا ، وهذا ، عموما ، خير ما يمكن ان يقدمه الفنان الموهوب . نحن لا نعدم انسانية فنانينا ولا نقطع عرق تحسسهم الفني العالمي او الانساني ولكننا نهمس في آذانهم انهم لم يوفقوا حق البيئة التي عاشوا فيها ، وانهم لا زالوا ، الى حد ، يعيشون عالة الفن العالمي ، العملاق . أليس الاحرى ، اذن ، ان يضعوا ايديهم هنا في تربتنا وارضنا وهوائنا وانساننا الطامح المعذب هذا ؟! ثم أليس التعبير والتجاوب مع حاجات ومثل واساطير انساننا ، ابداعا لا ينكر ، في المجال الانساني في الفن ، جذرا وقمة ؟!

همسة اخرى في آذان فنانينا في « جماعة بغداد » وفناننا الجادر : أليس الاكرم لفننا ان يستوحي المواضيع من محيطه وتراثه الحضاري بدلا من ان يسوح في الريفييرا او ساحل الاطلسي كما فعل الجادر ؟ نحن لا ندعو الى الانغلاق والانعزال ، ولكننا نلفت النظر الى قول الناقد الفنان احمد مرسي : « وحري بالذكر اننا نحن الشرقيين لنا من تراثنا الحضاري وظرو حياتنا الاجتماعية المطبوعة بكثير من المعتقدات والرواسب الفكرية التي لم نتخل عنها حتى الان ما يحدو بنا الى الحث على تأكيد شخصيتنا الشرقية » . اجل ان بامكاننا ان نفعل ذلك ولكن لا بالتأكيد على الجانب السلبي والجانب الاسطوري والميت الخرافي واهمال الجوانب الايجابية الحية الصاعدة ، بل بالمحافظة على النسغ المجتمعي القومي وتطويره وتطعيمه بخير ما توصل اليه فنانو الغرب . الفن ملك الانسانية وظلها الخالد — ومتى ما قصرنا عن خلق شخصيتنا الفنية المميزة ، فاننا لا نعدو ان نكون تلاميذ مبتدئين او مقلدين — وقد نبدع ولكن في ميدان التقليد فحسب . ان البذور التي زرعها معرض الجادر ومعرض « جماعة بغداد » لها كل الامل ان تنمو وتنتج ولكن مع رسالة انسانية وتقنية فنية اصيلة .

بغداد — جليل كمال الدين

السودان

بعد الجلاء

وعدت القراء الكرام — في العدد الماضي من الآداب الغراء — بأن [illegible] لهم عن بلادنا ، وبأن اعرفهم بخصائص هذه الحياة الجديدة التي يعيشها الشعب السوداني ، وان أحدثهم عن هذا الفجر الجديد الذي اشرق على بلادنا بعد ان كانت تعيش في ظلام شاء المستعمرون البريطانيون ان تعيش فيه لكي تلتهم مصانع لانكشير قطننا ذا الفتلة الطويلة . لقد كان الاستعمار البريطاني ، منذ احتلاله لبلادنا حتى الجلاء في عام ١٩٥٣ ، يستغل شعبنا ابشع الاستغلال ويسخره لخدمة الاحتكاريين البريطانيين ، ولكن الشعب السوداني ، بفضل نضاله وبفضل تأييد الشعب المصري الشقيق وكفاح نضال الشعوب العربية ، استطاع ان يحصل على حريته وسيادته واستقلاله . حطم « الجمعية التشريعية » التي ارادها الاستعماريون ان تحكم لهم بالنيابة كما حطم من قبلها « المجلس الاستشاري لشمال السودان ». ولقد كان الاستعماريون الانجليز يحلمون ان يدخلوا من اخرى من خلال الثغرات المفتوحة في اتفاقية القاهرة سنة ١٩٥٣ والتي ادت الى جلائهم عن بلادنا . ولكن يقظة الشعب السوداني ، بمؤازرة ننساها ، من الشعب المصري الصديق ، استطاعت ان تجعل حلم المستعمر خيالا . نحن الان احرار يقوم برلماننا في ذات المكان الذي شهد مصرع الجمعية التشريعية .

ومن خصائص هذه الحياة الاستقلالية التي نعيشها في حاضرنا هذه الثقافة الجديدة التي أخذت تنتشر في ربوع بلادنا كاوسع ما يكون الانتشار . اصبحنا نقرأ الكتب والمجلات التي كان يصادرها السكرتير الاداري الانجليزي ابان العهد الماضي لا لشيء الا لانها تحمل ثقافة معادية للاستعمار ، لافكاره ومفاهيمه وآرائه . ان القراء الكرام سيدهشهم اشد الدهشة حينما يعلمون بأن ٩٩ ٪ من شعبنا يتخبطون في ظلام الجهل والخرافة — هكذا اراد لهم الاستعمار .

وكان علينا ان نواجه تركة مثقلة خلفها لنا الاستعمار طيلة حكم بريطاني على نصف قرن من الزمن . فالعهد الجديد اشد ما يكون حاجة الى جيش جرار من المثقفين الواعين يتولون امر البلاد ويقودوننا الى ميدان الانتاج الصناعي لاسيما وان الابحاث والتجارب التي اجريت اخيرا قد برهنت على وجود كميات كبيرة من المواد الخام مطمورة في اراضينا ومن اجل ذلك فلقد افتتحت حديثا عدة مدارس اولية وابتدائية وثانوية للبنين والبنات في اجزاء مختلفة من انحاء القطر . وتحولت كلية الخرطوم الى « جامعة الخرطوم » وستفتتح فيها اقسام جديدة للبيطرة والقانون والاقتصاد والصيدلة والهندسة المعمارية . ولقد فتح الباب على مصراعيه امام طلابنا الجامعيين لكي يتلقوا دروسا في الخارج . كما ان حملة محو الامية ، التي تشترك فيها الحكومة والطلاب ومنظمات اتحاد الشباب السوداني ، تلقى نجاحا طيبا .

وبعد فان الطريق لا زالت ، امامنا ، شاقة ، وعرة المسالك ، لا سيما وان الاستعمار الامريكي قد دخل الميدان ، على حساب حلفائه الانجليز والفرنسيين ولكننا نأمل ان نتغلب على جميع الصعاب وان نشد الطريق